

منبر

داعش وافغانستان؟

حياة الحويك عطية

«ما تخافي يا ريما خالك هوي اللي اخترع راجح». رحم الله الرحابنة ونصري شمس الدين، فراجح الذي اخترعه ليختبئوا وراءه: «اهلا يا راجح الكذبة ياللي خلفا راح نتخبى» لم يكن هذه المرة كذبة شبه بريئة، ولا غولا افتراضيا، بل حقيقة واقعة حجمها بما يكفي لتختبئ وراءه مبررات عودة الاميركي الى المنطقة منقذا مقبولا، بعدما خرج منها محتلا مرفوضا. اما الناس، الناس اللي كان «بدهم حكاية، خالك اخترعلن حكاية»، فهم فعلا كانوا بحاجة الى حكاية تفجر كبتهم ومظالمهم وفقهرهم وجهلهم، وكل ما اخترنوه من بارود على الصعيد الفردي والجمعي القومي.

والان الى اين مع داعش، ومع التحالف الدولي؟ ثمة مآلان، الاول يقود اليه استشراف تجربة مشابهة مع الولايات المتحدة. والثاني يتناقض مع الاول بسبب اختلاف بعض المعطيات ويؤشر الى تجربة ثانية.

الاول من افغانستان: لقد خلقت الولايات المتحدة طالبان لمحاربة الاتحاد السوفياتي، كي لا تسمح له بالهيمنة على «سقف العالم»، بكونه سقف اسيا المقبلة بقوة. وعندما انتهت الكتلة الاشتراكية، تركت طالبان ترتكب اغرب الممارسات واكثرها همجية، بجهل ذاتي مقترن

ربما باختراقات موجهة. ولم يكن على الاعلام الغربي الا ان يسوق بكل ما يتقنه من فنون للصور الهمجية التي تقترف في افغانستان (وتشبه ما يحصل الان في داعش من تدمير الاثار والاضرحة والممارسات ضد النساء والموسيقى الى اخره) الى ان جاءت تفجيرات 11 سبتمبر أيلول، فاكملت الجو المطلوب للتدخل العسكري الاميركي المباشر بقبول دولي. تدخل لم يطل فقط افغانستان، بل العراق ايضا. وفيه

لا يحتاج الامر الى القضاء على داعش واجتثاثها، بل الى مجرد تحجيمها كما يقول الأميركي

استقرت واشنطن على عرش النظام العالمي الجديد.

المحللون كانوا ينتظرون هذه المرة شيئا يشبه 11 سبتمبر، ولكن يبدو ان الامور كانت ناضجة ومنهكة، وكان التهديد قريبا ومحققا، بحيث لم تحتج الى اكثر من ذبح الصحافي الاميركي فولي وبعض الأكسسورات الاعلامية المربعة.

لمصلحة من سارت كل مجريات عمل داعش وغيرها من التنظيمات التي لا تختلف عنها بشيء؟ ولماذا الرقة ودير الزور والموصل وسد الفرات، والتوجه نحو كركوك وبيجي؟ ولماذا امتدت المعركة لتستهدف لبنان، ومن البقاع تحديدا، لا من طرابلس، حيث تبدو المهمة اسهل؟

فرض اوباما شروطه على الحكومة العراقية الجديدة. عقد مؤتمر جدة وانضم اليه حتى وزير خارجية لبنان. استبعدت روسيا وايران والصين وحلفاؤهما الاصغر. باختصار، هكذا تحقق داعش لاوباما استدراك ما كادت واشنطن تخسره على المستوى الاستراتيجي الدولي، ما لم يستطعه حتى الان في سوريا، وما اضطر للتراجع عنه في العراق، الذي خرج من الفصل السابع ليعود فيدخله محفوفا بالعرب. ولا يقولن قائل ان قطر تدعم النصرة ضد داعش (فكان واخواتها تتماثل في الرفع والنصب) والقواعد الاميركية هي هي على الارض، وفي العقول لدى كل الداعمين.

على المقلب الاخر من الخريطة، طلبت الادارة الاميركية من الجزائر منحها قاعدتين جويتين استراتيجيتين لمحاربة الارهاب الاتي من ليبيا، وهناك معلومات عن طلبات موجهة الى الجيش المصري بالتدخل على الحدود الليبية، وهذا ما بحثه السيسي مع بوتفليقة لدى زيارته

الاخيرة للجزائر. فاماذا سيطلب من لبنان غدا؟ ومن العراق؟ ومن سوريا؟ ومن اليمن، حيث سجل الحوثيون ضربة ناجحة في حساب ايران؟ هل هناك افضل من هذا السيف الذي تَصَلته واشنطن والموساد على رؤوس العرب؟ وفي وجه ايران؟ وحتى روسيا، بحيث تكسر كل ما انجزته الاخيرة ومعسكرها على صعيد العودة الى التعددية القطبية والتوازن الدوليين، فيما كان واضحا من تركيز كيري على عبارة: بقيادة الولايات المتحدة وتاكيدا لزعامتيا؟

وهل اسوا من المعادلة المطروحة: إما هذا، والأل فالارهاب والذبح؟ لا يحتاج الامر الى القضاء على داعش واجتثاثها، بل الى مجرد تحجيمها - كما يقول الاميركي. فما معنى التحجيم؟ ان تبقى قائمة ربما في مناطق نفوذها الحالي دون ان تكون دولة، على نحو يؤمن استمرار الفوضى، بل وتناميها أيضا وخلق تعاطف شعبي على كامل الارض العربية مع داعش المعتدى عليها اميركيا، على مدى سنوات كافية لتحقيق اهداف استراتيجية: النفط والماء. عصب المعركة وهدفها الاقتصادي! حماية اسرائيل، وكسب الجولة التفاوضية مع ايران لمصلحة الولايات المتحدة واسرائيل، واستكمال المواجهة مع المحور المنتهي في روسيا، وصولا الى منع قيام اي محور يهدد زعامة واشنطن.

جوليا: نص لا بد من كتابته

محمد شهاب

الكتابة عن جوليا تعترتها محاذير عدة، أهمها أنه ينبغي احترام خيارها، الذي كررته في حفلتها الأخيرة، بأن تستغني بالغناء عن الكلام، وهي التي تجنبت الدخول في أي سجلات منذ بداية مشاورها الفني، وحرصت على عدم الدخول في ساحة التكهنات بشأن مقاصد أغانيها.

قيل إن «أشرف الناس» نحتت كلماتها للسيد حسن نصر الله، وإن «طل وشرف» كرسرت نغماتها للرئيس ميشال عون، أو أن الأغنيتين معا لزوجها الوزير إلياس بوسعب، لكن لا تأكيدات بهذا الشأن: أغاني جوليا مهداة إلى كل أحد يشكل مصداقاً لضمائمها. بيد أن جوليا لا تخفي محبتها للسيد، ولا للعماد. في عالم جوليا تنوع في الإطار الإنساني الطبيعي، لا يضر وحدة الوطن ولا محبة الإنسان لأخيه الإنسان.

في عالم جوليا، يحترم الإنسان لذاته، فهو قيمة في حد نفسه، لا بناء على طائفته، وحقه في حرية الاعتقاد مصون مع سائر الحقوق الطبيعية الأخرى. قدمت جوليا نموذجاً لافتاً للعلمانية المؤمنة، التي تعلي من شأن الدين وتحاصر الطائفية، إحقاقاً لإنذار جبران خليل جبران بالويل للأمة التي تكثر فيها الطوائف ويقل فيها الدين. طرحت جوليا في ألبوم «ميلادك» أجمل وأصدق مما قدمه كثير من المرثمين والمرثمات المحترفين.

حفلتها الأخيرة جاءت مع سقوط الشهيد الثاني من العسكريين المخطوفين، ليضاف إلى الشهداء المغدورين، وانقطاع أخبار باقي الجنود، فكان

السؤال المزمع يطرح نفسه مجدداً: هل ينبغي أن تقام حفلات في ظل هذا الوضع؟ يحاجج كثيرون بأنه واقع عربي متلبد بغيوم الموت والمآسي لم تغادره منذ عقود، وما من وضع استثنائي.

الواقع أنّ لدى جوليا - وقليلين غيرها فقط - يطرح جواب السؤال المزمع، فهي تغني داخل القضية وهواجس الناس، لا خارجها، عندما تغني للحب والمقاومة والحياة، وترفع الصوت رفضاً للموت.

هي التي ردد المقهورون في الثمانينيات، أيام

كيف لإنسان أن يجمع في نص واحد حديثاً عن جوليا وعن طيور الظلام؟

تلويث غريبان الموت الصهيوني لأرض لبنان، أغنيتها «غابت شمس الحق»، فأخذوا من كلماتها جذوة الرفض وشعاع الأمل، وحسم الخيار بأن شهادة الكرام أفضل من عيش اللئام. كيف لإنسان أن يجمع في نص واحد حديثاً عن جوليا وعن طيور الظلام؟ لكنه زمن داعشي يحتمّ ذلك، كما حتمّ بالأمس الزمن الإسرائيلي جمعاً في الحديث عنها وعن غريبان موته. وكلا الزمنين وقت مستقطع من التاريخ لسيادة عنصرية في الإقليم.

في زمن القتل العام والإجرام المستشري، والحقد المقيم والبشاعة الواسعة والتفرقة

العنصرية، تقدم جوليا رسالة إيمان وحب وأمل أكيد بالنصر.

يوم 2 أيار 1945، يوم سقوط برلين والنازية، حمل الروس المقاتلة ماريا ليمنسكايا، بحضورها الرقيق إلى قبالة بوابة براندنبورغ، رمز العاصمة الألمانية، أسفل الرايخستاغ، مبنى برلمان الرايخ، لتنظم سير المركبات وسط برلين، وتخلد بصورها نذكرى ما يسميه الروس «النصر العظيم في الحرب الوطنية العظمى».

أراد الروس تسجيل رمزية حضارية ترفع الحرب من مرتبة العنف الساذج إلى مقام المقاومة الإنسانية، حيث المدنية قائمة، والثقافة حاضرة، وموقع الفن مصون، وقيمة النظام محفوظة.

للروس تراث عريق في هذا المضمار، كاتيوشا ليست بالأصل اسماً لصاروخ، بل اسم لأغنية بديدة تفيض حباً لوطن وإنسان، أطلق اسمها على الصاروخ في ما بعد.

«يوما ما»، سنحمل السيدة جوليا في هودج النصر إلى قلب فلسطين، لتنظم مواكب العشاق إلى المسجد الأقصى وكنيسة المهد وقبر داود، مسلمين لا دواعش، ومسيحيين لا متصهينين، ويهوداً لا صهاينة.

يومها، ستكون المقاومة قد فرغت من العبور إلى الجليل ومن تحرير فلسطين، وستكون الجيوش العربية قد استراحت من إطلاق نيران لم ترحم جموع الإرهابيين التكفيريين، الذين يشربون مع الصهاينة من صرع العنصرية نفسه.

يومها، ستكون نون الموصل قد أنهت رحلة تهجيرها، وعادت إلى نينوى، وانقلبت إلى قبة شاهقة يطاول أعلاها عنان السماء، وينغرس طرفاها في عمق الأرض، بقوة رسوخ أهلها في هذا الوطن. أما نقطتها فتغوص عميقاً في ترابه،

بحثاً عن رفات الأحبة الذين تعاقب الغزاة على أرضهم، ولكنهم لم يرحلوا.

يومها، سيعود مقام النبي يونس، ذي التون، كما كان شامخاً في أرض نينوى، يستقبل الزوار المحيين.

يومها، سيكون خيار آمرلي الصامدة في المقاومة قد تكرر عقيدة قتالية بوجه الإرهاب، واستطاع تحقيق وعد الشهيد يحيى عدنان شغري بمحو كيانه، وخُلد ذكر الشهيدة أمية الجبوري أبد الدهر.

يومها، ستكون العودة قد تحققت ليزيدي سنجار، والعدل قد أقيم لمغدوري سببايكر، والحصار قد رفع عن حلب الجريحة، وتحققت القوة للأمة، وشاعت المحبة بين الناس، بفضل ثورة شعب بلادي الحقيقية.

يومها، ستكون الثورة الأصلية قد قامت، جامعة بين تحرر الوطن وحرية (يتنفسها) المواطن. في الغد الأمل، حين نمضي ومنتصر، لن تكون هناك ديكتاتورية تترك حال حفظها لطريق مقاومة المحتل، مساحات هامشية ينمو فيها الفساد مع التطرف، ويطيح في اليوم التالي قلعة الممانعة من الداخل.

يومها، لن تناقض حرية المواطن تحرر الوطن، بل ستكون واحدة من أهم لوازمه.

تقدم السيدة جوليا للمقاومة رصيماً فنياً لا غنى عنه، وللناس أملاً في زمن اليأس لا تعويض عنه. كان ناهض حتر قد تحدث في هذه الجريدة عن «محبة مسلحة» لها أقتومان: فيروز ونصر الله. ترى جوليا أن فيروز ملكة لا يوضع بجوارها فنان آخر. لكن تحت هذين الأقتومين، يجدر وضع أقتوم ثالث اسمه جوليا، هذا كلام لا بد من قوله.